المبحث السابع

أثر الاعتقاد في أن الله ﷻ هو العليم

المعني اللغوي :

بمعنى العالم على صيغة المبالغة ، فالعلم صفة لله تعالى .

المعنى المستخلص من القرآن الكريم :

بناء على استقراء آيات القرآن الكريم المتعلقة بتلك الصفة ، وفى حدود فهم الباحث لمعانيها العامة ، أمكن استخلاص المعنى العام لتلك الصفة فيما يلي :

« الله سبحانه جل شأنه هو العليم .. أحاط بكل شئ علما فهيمن على الكون بأسره ، وخلق الخلق وأحاط بهم علما ، فيعلم علانيتهم وما خفى من سرهم.

بمقتضى علمه سبحانه وتعالى .. قدر الرزق ، وأنشأ الخلق ، ويعلم ما سيكون من أمر الموارد في الكون .

علم الملائكة .. وعلم آدم منذ بدأ الخلق ، وعلم أصول الصناعات لبعض من الرسل والخلق ، فلا يحق لبشر أن يغتر بعلمه .

تلازم علمه بحكمته، فأنزل سبحانه وتعالى كتابه وقضى بين العباد بشريعته .

علام الغيوب .. فاستوجب بذلك مراقبته واستحضار معيته ، ولا يعلم أحد من خلقه ما سيكون من أمره ، وإنما يفوض الأمر إلى ربه - وهذا لا يمنع الإنسان من التخطيط لمستقبله مستفيداً من تراكم خبراته التاريخية » .

ترتيباً على المعنى العام المستخلص لتلك الصفة ، يمكن تحليل أبعادها العقدية على النحو التالي :

الأبعاد العقدية :

١ - الله سبحانه جل شأنه هو العليم .. أحاط بكل شئ علما فهيمن على الكون بأسره .

٢ - فبعلمه سبحانه جل شأنه ، هيمن على الكون بأسره .

٣ - بمقضى علمه سبحانه وتعالى .. خلق الخلق ، وقادر على أن يعيده .

٥ - ويعلم العلن وما خفى من سرهم.

٦ - بمقتضى علمه قدر الرزق ، وأنشأ الخلق ، ويعلم ما سيكون من أمر الموارد في الكون.

٧ ـ علم الملائكة .. وعلم آدم منذ بدأ الخلق.

٨ ـ وعلم أصول الصناعات لبعض من الرسل والخلق.

٩ ـ فلا يحق لبشر أن يغتر بعلمه.

١٠ ـ أنزل سبحانه وتعالى الكتاب بعلمه ، فلا يلحقه ولا يسبقه أحد.

١١ ـ تلازم علمه سبحانه وتعالى مع حكمته ، فأنزل كتابه ، وقضى في العباد بعدله وشريعته.

١٢ ـ علم الله ﷻ بالغيب ، يستوجب مراقبته واستحضار معيته.

١٣ ـ علام الغيوب .. فلا يملك أحد من خلقه أن يعلم ما سيكون من أمره، وإنما يفوض الأمر إلى ربه.

١٤ ـ الإيمان بتفويض علم الله بالغيب، لا يعنى استقبال الإنسان لأمره بتفريط وبغير تخطيط.

دليل القرآن الكريم لكل بعد عقدى وبيان أثره الاقتصادى :

فيما يلي بيان دليل كل بعد من الأبعاد العقدية من آيات القرآن الكريم، ثم إيضاح الأثر الاقتصادي لكل منها:

البعد العقدى:

١ ـ الله سبحانه جل شأنه هو العليم .. أحاط بكل شئ علما فهيمن على الكون بأسره وقد أشار الله ﷻ إلى موقف سيدنا إبراهيم .. فقال :

﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾[الأنعام: ٨٠].

وقال جل شأنه :

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾[الأحزاب: ٤٠].

٢ ـ فبعلمه سبحانه جل شأنه ، هيمن على الكون بأسره:

﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[الأنعام: ١٣]

﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾[الأنعام: ٩٦].

﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴾[الرعد: ٨].

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[الحج: ٧٠].

﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [يس: ٣٨]

الأثر الاقتصادي:

إحاطة الله ﷻ الكون بعلمه ، تدعم ثقة الإنسان في المستقبل ، فيستقر في أدائه الاقتصادي ، ويثق في قدرة الله ﷻ على تدارك أزمات العباد بعلمه بهم .

البعد العقدى :

٣ ـ بمقضى علمه سبحانه وتعالى .. خلق الخلق ، وقادر على أن يعيده :

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[الحجر: ٨٦].

﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[يس: ٨١].

الأثر الاقتصادي :

مقتضى الإيمان بعلم الله ﷻ ومن ثم قدرته على الخلق ، لا مسوغ لبشر في القلق على أمر الرزق ، لأنه سبحانه يخلق الإنسان ويخلق له موارده أيضا ، فلا وزن للرأى الذي يفتعل تناقضا بين الموارد على إطلاقها والسكان .

البعد العقدى :

٤ ـ وبمقتضى خلق الله ﷻ للخلق أحاط علمه بهم .

﴿ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[الأنبياء: ٤]

٥ ـ ويعلم العلن وما خفى من سرهم :

﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام: ٣]

﴿ إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾[الأحزاب: ٥٤]

﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾[القصص: ٦٩].

﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾[غافر: ١٩].

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[المجادلة: ٧].

الأثر الاقتصادي:

تم عرضه تفصيلاً في الفصل الأول من الباب الثالث الذي تناول صفات الألوهية المؤثرة في العمل .

البعد العقدى :

٦ ـ بمقتضى علمه قدر الرزق ، وأنشأ الخلق ، ويعلم ما سيكون من أمر الموارد في الكون فقدر بعلمه الرزق :

﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾
[العنكبوت: ٦٠]

وأنشأ الخلق :

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾ [الروم: ٥٤]

وأحاط علمه بالمؤثرات في موارد الكون

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾[سبأ: ٢].

الأثر الاقتصادي :

١ ـ الثقة في وفرة مصادر الموارد الاقتصادية .

٢ ـ اليقين بأن الإنسان قد خلقه الله ﷻ يرتب آثاره في عدم القلق على أمر رزقه، والحرص على معاملته بما يليق من شرف تكريم الله ﷻ له من حيث الأجر العادل وعدم الاعتداء على حقوقه وإقامة العدل في تداول معاملاته.

البعد العقدى :

٧ ـ علم الملائكة .. وعلم آدم منذ بدأ الخلق فلا يليق لبشر بعلمه أن يغتر:

علم الله سبحانه جل شأنه الملائكة وعلم الإنسان منذ بدء الخلق :

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾[البقرة: ٣١-٣٣].

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾[الرحمن: ١-٤]

﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[العلق: ٥].

٨ ـ وعلم أصول الصناعات لبعض من الرسل والخلق :

«كان رسل الله جميعاً أصحاب حرف ، فكان نوح نجاراً، وإدريس كان خياطاً، وإبراهيم كان بزازاً ، وكان داود يصنع الدروع وسليمان كان يصنع المكاتل من الخوص. وزكريا كان نجاراً، ونبينا ﷺ كان يرعى في بعض الأوقات»[1]..ومن ذلك ما علمه لذى القرنين كما جاء في قوله جل شأنه:

﴿ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴾ [الكهف: ٩٤-٩٨]

قال رسول الله ﷺ : «ما أدرى أذو القرنين كان نبياً أم لا ؟» في حديث رواه الحاكم

زبر الحديد : قطع الحديد .

١) انظر تفصيلا: الشيخ محمد بن الحسن الشيباني الاكتساب في الرزق المستطاب ص١٨، ١٩، ٢٠ نقلا عن الدكتور السيد عطية عبد الواحد – مبادئ الاقتصاد الاسلامي – دار النهضة العربية – الطبعة الأولى– ص١٨٢

بين الصدفين : بين رأس الجبلين .

قطرا : النحاس .

فما اسطاعوا أن يظهروه : فما استطاعوا أن يرتقوه من أعلى[1].

٩ـ فلا يحق لبشر أن يغتر بعلمه :

﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[الزمر: ٤٩].

وضرب سبحانه وتعالى مثلا بقارون ، محذراً من الوقوع فيما اغتر به :

﴿ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾[القصص: ٧٦-٧٨]

فكان عاقبة غروره .. كما قال الله في شأنه :

﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾[القصص: ٨١].

الأثر الاقتصادي :

١ ـ الحذر من الاغترار بالعلم ، والوقوع في آثار ذلك الغرور على الرغبة في الفخر والكبر ، بما يستتبع إسرافا استهلاكيا ، وسوء توجيه للموارد المستغلة .

٢ ـ مراعاة البعد الأخلاقي في استغلال المعرفة من أجل زيادة الموارد، باعتبار أن الله هو الذي علم وألهم، ولا يليق مخالفة أمره على نحو ما يغضبه ولايرضاه. وذلك بما يحول من سوء استغلال آثار التقدم العلمي من سوء استخدام لأسلحة الدمار الشامل مثلاً، والذى يعود

١) الشيخ محمد بن الحسن الشيباني: الاكتساب في الرزق المستطاب ص ١٨ - ١٩ - ٢٠. نقلا عن الدكتور السيد عطية عبد الواحد - مبادئ الاقتصاد الاسلامي - دار النهضة العربية - الطبعة الاولى - ص ١٨٢

بالأثر الاقتصادي المدمر، نحو ما هو مشاهد من أثر القصف النووى على هيروشيما وناجازاكى.

البعد العقدى :

١٠ ـ أنزل سبحانه وتعالى الكتاب بعلمه ، فلا يلحقه ولا يسبقه أحد بعلمه :

﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾[غافر: ٢].

الأثر الاقتصادي :

يرتب ذلك البعد العقدى ، التعامل بقين واثق لا ريب فيه مع كتاب الله ﷻ وما جاء به من توجهات إيمانية وتشريعية ، من شأنها أن تحافظ على الكيان الإنساني وتحفظ العلاقة بين الإنسان والموارد على نحو لا تصادم فيه ولا صراع ، بما ينعكس أثره على تحقق الانتعاش الاقتصادي .

البعد العقدى :

١١ ـ تلازم علمه سبحانه وتعالى مع حكمته ، فأنزل كتابه ، وقضى في العباد بعدله وشريعته .

وشواهد ذلك من القرآن الكريم كثيرة .. مثل قول الله ﷻ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[النساء : ١٧٠].

الأثر الاقتصادي :

التشريع الإسلامي بتوجهاته العملية ، يؤدى إلى عديد من المزايا والآثار الاقتصادية .. أهمها :

١ ـ المحافظة على الثروة القومية ، بتحريم التحويلات غير المرغوبة كالسرقة والرشوة وغيرها .

٢ ـ التوجيه إلى الاتزان الاستهلاكي ، والبعد عن الإسراف والتبذير بما يمنع من تبديد الثروة القومية .

٣ ـ تحقيق العدالة في التوزيع ، من خلال نظام الزكاة والصدقات التى تترك آثارها أيضاً في تحريك الطلب الفعال وزيادة النشاط الاقتصادي ، وإعادة توجيه استثماراته نحو الضرورات الأساسية للمجتمع .

٤ ـ إقامة العدل والحق في المعاملات الاقتصادية والتداول على نحو ما جاء تفصيلاً في فقه المعاملات .

٥ ـ الضرورات الخمس التى تشكل مقاصد الشريعة الإسلامية . وهى حفظ الدين والعقل والنفس والنسل والمال ، يمكن النظر إليها كمقاصد عامة أيضا للتشريع الاقتصادي مالم يكن هناك نص ، خاصة أن النشاط الاقتصادي تتفاعل فيه كل قوى المجتمع ، متأثرة به ومؤثرة فيه بالعمل المباشر أو بالتأثير غير المباشر، فحفظ المال يعد مقصد شرعي واقتصادي مباشر ، وحفظ النسل يعتبر أيضاً تابعاً لمقاصد حفظ الثروة القومية، لأن الثروة البشرية المتمثلة في القوى العاملة تعتبر عماد النشاط الاقتصادي، وهكذا كل مقصد عام للشريعة يترك أثره على النشاط الإنساني في المجتمع بما في ذلك النشاط الاقتصادي.

البعد العقدى :

١٢ ـ علم الله ﷻ بالغيب ، يستوجب مراقبته واستحضار معيته :

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [التوبة: ٧٨]

الأثر الاقتصادي :

وقد سبقت الإشارة إلى أثر مراقبة الله ﷻ في تخفيض تكاليف ممارسة الرقابة الإدارية ورفع كفاءة الأداء الإنتاجي وسيكون تفصيل ذلك موضع بحث في الباب الثالث .

البعد العقدى :

١٣ ـ علام الغيوب فلا يملك أحد من خلقه أن يعلم ما سيكون من أمره ، وإنما يفوض الأمر إلى ربه :

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٠]

﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل: ٦٥].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الحجرات: ١٨]

﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾[الجن : ٢٦].

الأثر الاقتصادي :

١ ـ المحافظة على الحقوق الاقتصادية المتبادلة بين الأطراف ، بالبعد عن التعاقد على أمر غيبي لا يدرى البشر عن مستقبله شيء ، على نحو ما هو منهي عنه شرعاً في فقه المعاملات حول بيع الغرر ، وبيع الثمر قبل بدو صلاحه ، حيث إن التعاقد المسبق على أمر لا يملك الإنسان مقومات العلم به .. سينتهي بأحد نتيجتين :

- الإضرار بالبائع نتيجة ارتفاع السعر أو وفرة المحصول المتعاقد عليه عما كان متوقعاً .
- الإضرار بالمشترى نتيجة انخفاض السعر عما كان متوقعاً ، أو انخفاض المحصول .

٢ ـ تلافي آثار الفوائد الربوية المدمرة على الاقتصاد القومي ، والتي كانت من أثر تحول البنوك من وظيفتها في تنشيط الاستثمار ، إلى التركيز فقط على الضمانات في الإقراض ، بما شجع على الإسراف الاستهلاكي ، وأدى إلى زيادة تكاليف الإنتاج ، وعكس آثاره في اختلال مؤشر الاستثمار الحقيقي، مما أدى إلى سوء توجيه الاستثمارات ، وتصفيتها بالتالي نتيجة لخسائرها .. إلى غير ذلك من الآثار التي نوقشت في مبحث «الآثار المدمرة للفوائد الربوية».

٣ ـ تنقية المعاملات في البورصة من الصفقات المستقبلية ، التي لا تعكس واقعية في التبادل السلعي ، وتثير الأزمات وتهدد بانهيار السوق المالية .

البعد العقدى :

١٤ ـ الإيمان بتفويض علم الله بالغيب، لا يعني استقبال الإنسان لأمره بتفريط وبغير تخطيط:

فقد احتاط سيدنا يوسف عليه السلام في شأن ما توقعه من تفسير رؤياه ، حول ما سيقع من أزمة اقتصادية في مصر .. وخطط لتجاوز الأزمة .. على نحو ما قال الله ﷻ :

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ

يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾[يوسف: ٤٣-٤٩].

الأثر الاقتصادي :

أولاً ـ الدروس الاقتصادية المستفادة من قصة سيدنا يوسف عليه السلام لمواجهة الكوارث الاقتصادية بالتخطيط المناسب كثيرة منها :

١ ـ زيادة الموارد خلال دورة الرواج الاقتصادي ورفع الكفاءة الإنتاجية .. كما يستدل عليها بكلمة «دأبا».

٢ ـ الحد من الاستهلاك .. كما يستدل عليه بتعبير «مما تأكلون»

٣ ـ زيادة المدخرات .. كما يستدل عليه بتعبير «مما تحصنون»

٤ ـ الاهتمام بكفاءة العنصر البشرى القائم على إدارة الأزمة ، وذلك ما دعا سيدنا يوسف إلى ترشيح نفسه لتلك الأمانة .

ثانياً ـ التحوط للمستقبل يدفع بالإنسان إلى مزيد من الإدخار ، لمواجهة أزمات شخصية مستقبلية غير متوقعه ، أو الاستعداد لالتزامات مالية ضخمة قد يدخرها لأبنائه أو يتوقعها فى شيخوخته ، وتنامي الإدخار ينعكس أثره في تنشيط التمويل المصرفي للاستثمارات ، خاصة إن كان على أسس إسلامية .

ثالثاً ـ تفويض الله ﷻ بعلمه المطلق في أمر المستقبل ، يجعل التخطيط في أحسن مستوياته محكوما في طبيعته بالتنبؤ المشروط للمستقبل . بمعنى أن يتم الاحتياط دائماً في التخطيط لمتغيرات غير متوقعة ، لأن أدوات القياس مهما بلغت من دقتها ، يستحيل عليها أن ترصد المستقبل على نحو دقيق .

وذلك بما ينعكس أثره في واقعية التخطيط ، ويحول دون اتخاذ قرارات اقتصادية ارتجالية .

وقد ربط البعض بين التخطيط والقطاع العام فقط بقوله إن «التخطيط الذي يجيزه الإسلام هو التخطيط الذي يتناسب مع المقدار المسموح به في المجتمع من ملكية عامة»[١].

---

١) الدكتور السيد عطية عبد الواحد – مبادى الاقتصاد الإسلامي– دار النهضة العربية – الطبعة الأولى – ص ٦٧.

ويرد على هذا الرأي :

● أن التخطيط لا يقتصر على توجيه القطاع العام فقط ، وإنما يتضمن كافة أنشطة المجتمع من قطاع عام وخاص ونشاط دولة ، وهناك تخطيط بالمؤشرات الاقتصادية العامة ومراقبة عناصر وتوجهات الدخل القومي ، تطبق في بعض المجتمعات الغربية وخاصة في فرنسا، برغم كونها دولة رأسمالية.

● كان ينبغي التحفظ باعتبار أن هذا رأى وليس نسبة الأمر مطلقا كما لو كان حكما شرعياً بقول «أن هذا هو التخطيط الذي يجيزه الإسلام» والأولى أن تظل وجهات النظر التحليلية بعيدة عن القطع برأي والحذر من نسبته إلى الإسلام دون استيفاء لدليل شرعي.